رَفْعُ الْمَيْنِ
عَنْ حَدِيثِ إِحْيَاءِ الْوَالِدَيْنِ

بقلم

عبد الله محمد العلي الحسيني

كان الله له



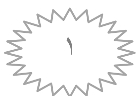
رَفْعُ الْمَيْــنِ

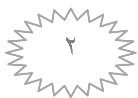
عَنْ حَدِيثِ إِحْيَاءِ الْوَالِدَيْنِ

بقلــم

عبد الله محمد العلي الحسيني

كان الله له





بسم الله الرحمن الرحيم

يقول العبدُ الفقيرُ إلى عفو ربه الكبير: عبد الله بنُ محمدٍ العليّ الحسيـني نسباً ، الشافعيّ مذهباً ، الأشعريّ عقيدةً ، الشاذليٌّ مشرباً وطريقةً ، الأردنيٌّ الشاميٌّ مولداً ونشأةً :

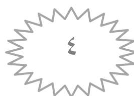
الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد خير البريات، وعلى آله وصحبه أهل المكرمات، وبعد:

فقد ظهرت هذه الأيام بدعة خبيثة ، حمل لواءها قوم لم يكن لهم هم إلا تنقيص الأماثل من هذه الأمة، بدءاً بالنبي ﷺ ومروراً بالعلماء العاملين، زيادة على ما اقترفوه من السب والشتم والتكفير لكل من لم يتمذهب بمذهبهم، فقد تجاوزت بهم قلة الأدب أن رموا والدي سيدنا رسول الله ﷺ بالشرك والوثنية،

وكذلك جده عبد المطلب، وقد اعتمدوا بذلك على أحاديث شاذة مؤولة، أما شذوذها فلمخالفتها القطعي من القرآن الكريم، وأما تأويلها فهو احتمالها لمعانٍ كانت شائعة في العرب، وجاء بها القرآن الكريم، وهي تسمية العم بالأب، وهو ما سنقف عليه في محله إن شاء الله .

ولبيان عوار هؤلاء صنفت ثلاث رسائل حول الوالدين الكريمين، وبمجموعها يكون سفراً كبيرا جمع الموضوع من جميع جوانبه .

فسميت الأولى: رفع المين عن حديث إحياء الوالدين، ودرست الحديث فيه رواية ودراية ، وخرجت بنتيجة هي: أن الحديث ضعيف وليس موضوعاً كما ادعى هؤلاء ، وهي هذه الرسالة، وسميت الثانية: إتحاف الماجدين بنفحات قوله تعالى: وتقلبك في الساجدين، أثبت فيها إيمان سلسلة الآباء الكرام، وأنهم كانوا على الحنيفية دين أبينا إبراهيم ﷺ ، وسميت الثالثة: تكحيل العين بأدلة نجاة الوالدين، فجاء البحث شاملاً في الرد على هذه الشرذمة، وفيها من الأدلة النقلية ما يشف صدور قوم مؤمنين، المحبين لجناب النبوة السامي .



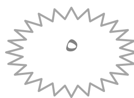
أما هذه الرسالة فقد جعلتها في أربعة فصول:

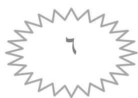
الفصل الأول: حديث إحياء الأبوين من حيث الرواية الحديثية .

الفصل الثاني: الحديث متناً، وأقوال العلماء فيه .

الفصل الثالث: النهي عن إيذاء النبي ﷺ بأي شكل من أشكال الإيذاء، ومنه وصف والديه بالشرك والكفر .

الفصل الرابع: شبهات وردّها





الفصـــل الأول :الحديث رواية (سنداً)

أولاً: رواية ابن شاهين :

أورد ابن شاهين في ناسخ الحديث ومنسوخه (ص: ٤٨٩، برقم:٦٥٦) قال: حدثنا محمد بن الحسن بن زياد النقاش مولي الأنصار قال: حدثنا أحمد بن يحيى الحضرمي بمكة قال: حدثنا أبو غزية محمد بن يحيى الزهري قال: حدثنا عبدالوهاب بن موسي الزهري، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن هشام بن عروة ، عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ نزل الى الحَجون[١] كئيباً حزيناً، فأقام به ما شاء ربه عز وجل، ثم رجع مسروراً فقلت: يا رسول الله؛ نزلتَ الى الحَجون كئيباً حزيناً فأقمتَ به ما شاء الله ثم رجعتَ مسرورا، قال: « سألت ربي عز وجل فأحيا لي أمي فآمنت بي ثم ردّها » .

---

(١) الحجون: مقبرة أهل مكة، وهي في جهة الشمال الشرقي لمكة على طريق الطائف .

ثانياً: رواية الحافظ الطبري:

قال الحافظ محب الدين الطبري في خلاصة سير سيد البشر (ص: ٢١):

أخبرنا الشيخ الإمام الصالح أبو الحسن علي بن أبي عبدالله بن أبي المقير قراءة عليه بالمسجد الحرام وأنا أسمع سنة ست وثلاثين وستمائة، قال: أخبرنا الشيخ الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر السلامي إجازة ، قال: أخبرنا أبو منصور محمد بن أحمد بن علي بن عبد الرزاق الحافظ الزاهد، قال: أخبرنا القاضي أبو بكر محمد بن عمر بن محمد بن الأخضر، حدثنا أبو غزية محمد بن يحى الزهري، قال: حدثنا عبد الوهاب بن موسى الزهري، قال: حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ نزل الحجون كئيباً حزيناً، فأقام به ما شاء الله عز وجل ثم رجع مسروراً وقال: «سألت ربي عز وجل فأحيا لي أمي فآمنت بي ثم ردها».

ثالثاً: رواية السهيلي:

أورد الإمام محمد السهيلي هذا الأثر في الروض الأنف في شرح غريب السير (١/ ٢٩٦) فقال: وروي حديث غريب لعله أن يصح، وجدته بخط جدي أبي عمران أحمد بن أبي الحسن القاضي رحمه الله بسند فيه مجهولون ، ذكر أنه نقله من كتاب انتسخ من كتاب معوذ بن داود بن معوذ الزاهد يرفعه إلى عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة ، عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أخبرت: «أن رسول الله ﷺ سأل ربه أن يحيي أبويه فأحياهما له وآمنا به ثم أماتهما » ، والله قادر على كل شيء ، وليس تعجز رحمته وقدرته عن شيء ، ونبيه عليه السلام أهل أن يخصه بما شاء من فضله ، وينعم عليه بما شاء من كرامته .

ثم ساق رواية ابن شاهين والخطيب البغدادي، إلا أنه قال: « فمر على قبر أمه وهو باك حزين مغتم » .

قلت: وبهذا قد يكون لفظ الحجون من تصرف الرواة في بعض النسخ، والنسخة التي روى السهيلي منها لَم يطرقها التغيير .

رابعاً: رواية الخطيب البغدادي:

أورد الخطيب في: (السابق واللاحق في تباعد ما بين وفاة راويين عن شيخ واحد) (ص:٣٤٤) :

أخبرنا أبو العلاء الواسطي، حدثنا الحسين بن علي بن محمد الحلبي، حدثنا أبو طالب عمر بن ربيع الزاهد، حدثنا علي بن أيوب الكعبي، حدثنا محمد يحي الزهري أبو غزية، حدثنا عبد الوهاب بن موسى، حدثنا مالك بن أنس، عن أبي الزناد، عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت:

« حج بنا رسول الله ﷺ حجة الوداع، فمر بي على عقبة الحجون وهو باك حزينٌ مغتم، فبكيت لبكاء رسول الله ﷺ ، ثم انطفر (وثب) فنزل ثم قال: **يا حميراء استمسكي**، فاستندت إلى جنب البعير، فمكث عني طويلاً ثم إنه عاد إليّ وهو فرح

مبتسم، فقلت له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، نزلت من عندي وأنت باكٍ حزين مغتمٌّ فبكيت لبكائك، ثم إنك عدت إلي وأنت مبتسم، فمِمَّ يا رسول الله؟ قال: ذهبتُ بقبر أمي فسألت الله أن يحييها فأحياها فآمنت بي وردَّها.

خامساً: رواية ابن عساكر:

أورده الحافظ ابن عساكر في غرائب مالك من طريق الحسين بن علي بن محمد بن إسحاق الحلبي، حدثنا أبو طالب عمر بن الربيع الخشاب، حدثنا علي بن أيوب الكعبي من ولد كعب بن مالك، حدثني محمد بن يحيى الزهري أبو غزية ، حدثني مالك عن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: حج رسول الله ﷺ حجة الوداع فمرَّ بي على عقبة الْحَجون وهو باكٍ حزينٌ مغتمٌّ فبكيت لبكائه، ثم أنه طفر فنزل وقال: "يا حميراء استمسكي" فاستندت إلى جنب البعير فمكث عني طويلاً ثم عاد إليّ وهو فرح متبسم فقلت له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله نزلت من عندي وأنت باك حزين مغتم فبكيت

لبكائك، ثم إنك عدت وأنت فرح، ففيم ذا يا رسول الله؟ قال: « مررت بقبر أمي آمنة فسألت الله أن يُحييها فأحياها فآمنت بي وردها الله ».

النظر في الروايات

أولاً: رواية ابن شاهين:

حدثنا محمد بن الحسن بن زياد النقاش مولي الأنصار قال: حدثنا أحمد بن يحيى الحضرمي بمكة قال: حدثنا أبو غزية محمد بن يحيى الزهري قال: حدثنا عبدالوهاب بن موسي الزهري حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد:...

* **محمد بن الحسن بن زياد النقاش**: قال في لسان الميزان (تحقيق أبو غدة) (٧/ ٧٨): واحتيج اليه وصار شيخ المقرئين في عصره على ضعف فيه اثنى عليه أبو عمرو الداني .

* **أحمد بن يحيى الحضرمي**: قال في اللآلي المصنوعة (١/ ٢٤٥): وقال الذهبي في الميزان في ترجمة أحمد بن يحيى الحضرمي:

روى عن حرملة التجيبي وليّنه أبو سعيد بن يونس فتبين بهذا أنهما ليس بمجهولين .

* **أبو غزية محمد بن يحيى الزهري**: قال في لسان الميزان (١٣٨٠): محمد بن يحيى أبو غزية المدني قال الدارقطني: متروك وقال الأزدي: ضعيف .

* **عبد الوهاب بن موسي الزهري**: قال في لسان الميزان (تحقيق أبو غدة) (٥/ ٣٠٩): عبد الوهاب بن موسى ليس به بأس .

* **عبد الرحمن بن أبي الزناد**: قال ابن حجر في لسان الميزان (تحقيق أبو غدة) (٥/ ٣٠٩): محمد بن يحيى ليس بمجهول بل هو معروف له ترجمة جيدة في تاريخ مصر لأبي سعيد بن يونس .

* **هشام بن عروة**: وثقه غير واحد، وذكره ابن حبان في الثقات .

* **عروة بن الزبير**: ثقة، ذكره ابن حبان والعجلي في الثقات.

* **عائشة**: وهي أم المؤمنين رضي الله عنها .

خلاصة الحكم: السند من عائشة الى عبد الرحمن ثقات .

أبو غزية: ضعيف .

احمد بن يحي: لين الحديث، يعني لا يصل الى الصحة ولا ينزل إلى الضعيف، فهو متوسط الحال، فيكون حديثه حسنا

والنقاش: ثقة فيه ضعف، أي يكون حديثه حسنا .

والزهري: ليس به بأس: فيكون حديثه حسنا .

فالرواية ضعيفة السند لضعف أبي غزية .



ثانياً: رواية الطبري:

أخبرنا الشيخ الإمام الصالح أبو الحسن علي بن أبي عبدالله بن أبي المقير قراءة عليه بالمسجد الحرام وأنا أسمع سنة ست وثلاثين وستمائة قال: أخبرنا الشيخ الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر السلامي إجازة قال: أخبرنا أبو منصور محمد بن أحمد بن علي بن عبد الرزاق الحافظ الزاهد قال: أخبرنا القاضي أبو بكر محمد بن عمرو بن محمد بن الأخضر، حدثنا أبو غزية محمد بن يحى الزهري قال: حدثنا عبد الوهاب بن موسى الزهري قال: حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها ...

* **أبو الحسن علي بن أبي عبدالله بن المقير**: قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٩٢): الشيخ، المسند، الصالح، رحلة الوقت، قال الحافظ تقي الدين عبيد: كان شيخاً صالحاً، كثير التهجد والعبادة والتلاوة، صابراً على أهل الحديث .

* **أبو الفضل محمد بن ناصر السلامي**: الإمام الحافظ، محدث بغداد، انظر ترجمته في السير: (٢٠/ ٢٦٥) رقم الترجمة: (١٨٠)

* **أبو منصور محمد بن أحمد بن علي بن عبد الرزاق**: قال الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء (٣٧/ ٢٠٥): الإمام، القدوة، المقرئ، شيخ الإسلام، أبو منصور محمد بن أحمد بن علي بن عبد الرزاق البغدادي، الخياط، الزاهد .

* **القاضي أبو بكر محمد بن عمرو**: قال السمعاني في الأنساب (٤/ ٣١٨): كان إماماً فاضلاً .

* **أبو غزية محمد بن يحيي الزهري**: ضعيف .

* **عبد الوهاب بن موسى الزهري:** ليس به بأس .

* **عبد الرحمن بن أبي الزناد: الثقات للعجلي** (٢/ ٧٦) عبد الرحمن بن أبي الزناد بن عبد الله بن ذكوان المدني ثقة

* **هشام بن عروة**: وثقه غير واحد، وذكره ابن حبان في الثقات .

* **عروة بن الزبير**: ثقة، ذكره ابن حبان والعجلي في الثقات.

رجال هذه الرواية ثقات إلا أبا غزية فهو ضعيف .

****

ثالثاً: رواية الخطيب البغدادي:

أبو العلاء الواسطي، حدثنا الحسين بن علي بن محمد الحلبي، حدثنا أبو طالب عمر بن ربيع الزاهد، حدثنا علي بن أيوب الكعبي، حدثنا محمد يحي الزهري أبو غزية، حدثنا عبد الوهاب بن موسى، حدثنا مالك بن أنس، عن أبي الزناد، عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ...

* **أبو العلاء الواسطي**: ميزان الاعتدال (٣/ ٦٥٤) : **محمد بن** علي القاضي، أبو العلاء الواسطي المقرئ، ضعيف.

* **الحسين بن علي بن محمد الحلبي**: تاريخ بغداد (٨/ ٧٦): ما علمت من حاله إلا خيرا ، وكان يوصف بالحفظ والمعرفة، وفي حديثه غرائب مستطرفة .

* **أبو طالب عمر بن الربيع الزاهد**: قال في لسان الميزان (٦/ ١٠٠): ضعفه الدارقطني في غرائب مالك في مواضع

* **علي بن أيوب الكعبي**: قال في لسان الميزان: (٤/ ٩١): علي بن أيوب الكعبي وافقه عليه بن عساكر لما اخرج هذا الحديث بطوله .

❋ **محمد يحي الزهري أبو غزية**: ضعيف .

❋ **عبد الوهاب بن موسى**: ليس به بأس .

❋ **مالك بن أنس**: صاحب الموطأ...ثقة .

❋ **أبو الزناد**: ثقة .

❋ **هشام بن عروة**: وثقه غير واحد، وذكره ابن حبان في الثقات

❋ **عروة بن الزبير**: ثقة، ذكره ابن حبان والعجلي في الثقات

هذا السند ضعيف جدا .

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

رابعاً: رواية ابن عساكر:

أورده ابن عساكر في غرائب مالك من طريق الحسين بن علي بن محمد بن إسحاق الحلبي، حدثنا أبو طالب عمر بن الربيع الخشاب، حدثنا علي بن أيوب الكعبي من ولد كعب بن مالك، حدثني محمد بن يحيى الزهري أبو غزية، حدثني مالك عن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها...

* **الحسين بن علي بن محمد بن إسحاق الحلبي**: قال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان (٢/ ٣٠٢): محدث مشهور روى عن ابن المحاملي وابن عقدة وعمر بن الربيع الخشاب وغيرهم، روى عنه أبو العلاء الواسطي وعلي بن أحمد النعيمي قال الخطيب: ما علمت من حاله إلا خيرا، وكان يوصف بالحفظ والمعرفة .

* **أبو طالب عمر بن الربيع الخشاب**: قال في لسان الميزان (٤/ ٣٠٥): قال مسلمة بن قاسم: تكلم فيه قوم ووثقه آخرون، وكان كثير الحديث .

* **علي بن أيوب الكعبي**: قال في لسان الميزان: (٤/ ٩١):

علي بن أيوب الكعبي وافقه عليه بن عساكر لما اخرج هذا الحديث بطوله .

❊ **محمد بن يحيى الزهري أبو غزية: ضعيف .**

❊ **مالك: هو ابن أنس إمام دار الهجرة .**

❊ **أبو الزناد:** أ الثقات للعجلي (٨٧٧) : **عبد الله بن ذكوان أبو الزناد مدني تابعي ثقة سمع من أنس .**

وقال الطبري: كان أبو الزناد ثقة كثير الحديث فصيحاً بصيراً بالعربية كاتباً حاسباً فقيهاً عالماً عاقلا .

❊ **هشام بن عروة:** وثقه غير واحد، وذكره ابن حبان في الثقات .

❊ **عروة بن الزبير:** ثقة، ذكره ابن حبان والعجلي في الثقات.

رجال هذا السند ثقات إلا أبا غزية فهو ضعيف .

****

الفصـل الثانـــي
الحديث درايــةً (متناً)

تبين مما مر أنه ليس في جميع رجال هذه الروايات من هو متهم بالوضع أو الكذب، وأن مـدار الحـديث علـى أبـي غزيـة وهـو ضعيف، فأصبحت الروايات كلها ضعيفة لضعف هذا الـراوي، وحسب قواعد المحدثين أن الضعيف قد ينجبر إذا كان المـتن غـير مزاحم لأصل من أصول الشـريعة، ولـه شـواهد مـن القـرآن أو السنة، وغاية ما في هذا المتن هو: إحياء الميت، وهي معجـزة مـن جملة المعجزات التي أيـد الله تعـالى بهـا رسـوله ﷺ إذ إن إحيـاء الميت غير ممتنع لا عقـلاً ولا شـرعا، فقـد حصـل إحيـاء الميـت لسيدنا إبراهيم ﷺ حيث أحيا الله له الطيور المذبوحة، قال تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ

ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ ﴿٢٦٠﴾ ﴾
البقرة .

وأحيا الله العزير، بعد أن مات مائة سنة، قال تعالى: ﴿ أَوۡ كَٱلَّذِي
مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ
بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ
قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ
إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ
لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ
فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٥٩﴾ ﴾ البقرة .

وأحيا قتيل بني إسرائيل لسيدنا موسى ﷺ قال تعالى: ﴿ فَقُلۡنَا
ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ
تَعۡقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ .

وأحيا الله تعالى ألوفاً من بني إسرائيل قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ﴿٢٤٣﴾ ﴾ البقرة .

وقال على لسان سيدنا عيسى ﷺ: ﴿ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴿٤٩﴾ ﴾ آل عمران ، وقال في سورة المائدة: ﴿ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ﴿١١٠﴾ ﴾ .

ونظير ذلك لنبينا ﷺ إحياء والديه الشريفين، علماً بأن الله تعالى أكرمه بما هو أكبر من ذلك، منها حنين الجذع، وهو حديث صحيح مشهور، فإحياء ميت قد يكون أقرب للعقل من نطق جماد لم يألف الكلام، وليس الكلام من صفته ، وكذلك تسبيح الحصا في كفه الشريف .

فهذه معجزات حصلت على أنبياء بني إسرائيل، نظير ما جاء في هذا الأثر، وكلها معجزات أيد الله بها أنبياءه عليهم الصلاة والسلام، وجاءتنا بما هو قطعي الدلالة والثبوت ، وعليه فيكون متن الحديث مقبولاً عقلاً ، وجائزاً شرعاً ، غير مردود، وإن كان ضعيف الإسناد .

أقوال العلماء

(١) **قال القرطبي في التذكرة** (ص: ١٢) : « ولا تعارض والحمد لله، لأن إحياءهما متأخر عن النهي بالاستغفار لهما، بدليل حديث عائشة رضي الله عنها : أن ذلك كان في حجة الوداع وكذلك جعله ابن شاهين ناسخاً لما ذكر من الأخبار » .

قلت: التعارض المدفوع هو ما رواه مسلم في صحيحه (٢٣٠٣) عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي » .

(٢) **قال العجلوني في كشف الخفا** (١/ ٦١): « قال العلامة ابن المنيّر المالكي في المقتفى في شرف المصطفى: قد وقع لنبينا ﷺ إحياء الموتى نظير ما وقع لعيسى بن مريم إلى أن قال: وجاء في حديث أن النبي ﷺ لما مُنع من الاستغفار للكفار دعا الله أن يحيي له أبويه فأحياهما له فآمنا به وصدقاه وماتا مؤمنين » .

(٣) **قال محمد بن يوسف الصالحي في سبل الهدى والرشاد (٢/ ١٢٣)** تعقيباً على كلام ابن دحية:

قلت: « لو اقتصر أبو الخطّاب على الحكم بوضع الحديث فقط وسكت عما ذكره لكان جيداً وتأدباً مع النبي ﷺ في حق أبويه ، وقد تعقبه القرطبي فقال: وفيما ذكره ابن دحية نظر، وذلك أن فضائل النبي ﷺ وخصائصه لَم تزل تتوالى وتتتابع إلى حين مماته، فيكون هذا مما فضّله تعالى وأكرمه به، وليس إحياؤهما وإيمانهما به ممتنعاً عقلاً ولا شرعا، فقد ورد في الكتاب العزيز إحياء قتيل بني إسرائيل وإخباره بقاتله، وكان عيسى ﷺ يُحيي الموتى، وكذلك نبينا ﷺ أحيا الله تعالى على يديه جماعة من الموتى ، وإذا ثبت هذا فما يمتنع من إيمانهما بعد إحيائهما زيادة في كرامته وفضيلته مع ما ورد من الخبر في ذلك ويكون مخصوصا ممن مات كافرا » ؟؟.

(٤) **قال السهيلي في الروض الأنف** (١/ ٢٩٦): « والله قادر على كل شيء ، وليس تعجز رحمتُه وقدرته عن شيء ، ونبيه عليه السلام أهل أن يخصه بما شاء من فضله، وينعم عليه بما شاء من كرامته صلوات الله عليه وآله وسلم » .

(٥) قال ابن سيد الناس في عيون الأثر (١/ ١٥٤) :

« أن النبي ﷺ لَم يزل راقياً في المقامات السنية، صاعداً إلى الدرجات العلية، إلى أن قبض الله روحه الطاهرة لديه، وأزلفه بما خصه به لديه، من كرامة القدوم عليه، فمن الجائز أن تكون هذه كرامة حصلت له ﷺ بعد أن لَم تكن، وأن يكون الإحياءُ والإيمان متأخراً عن تلك الأحاديث، فلا تعارض » .

(٦) قال الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي:

تنقل أحمد نوراً مبيناً تلألأ في وجوه الساجدينا

تقلب فيهمُ قرناً فقرنا إلى أن جاء خيرُ المرسلينا

(٧) قال الحافظ السيوطي في مسالك الحنفا:

المسلك الثالث: أن الله تعالى أحياهما له ﷺ حتى آمنا به، وهذا المسلك مال إليه طائفة كثيرة من الأئمة وحفاظ الحديث، واستندوا إلى حديث ورد بذلك لكن إسناده ضعيف، وقد أورده ابن الجوزي في الموضوعات، وليس بموضوع، وقد نص ابن الصلاح في علوم الحديث وسائر من تبعه على أن ابن الجوزي تسامح في كتابه الموضوعات، فأورد فيه أحاديث، وحكم بوضعها وليست بموضوعة، بل هي ضعيفة فقط، وربما تكون حسنة أو صحيحة.

ووهم ابن الجوزي في حكمه عليها بالوضع، وبين أن منها ما هو ضعيف فقط من غير أن يصل إلى حد الوضع، ومنها ما هو حسن، ومنها ما هو صحيح، وأبلغ من ذلك أن منها حديثاً مخرجا في صحيح مسلم، حتى قال شيخ الإسلام (الحافظ ابن حجر): هذه غفلة شديدة من ابن الجوزي، حيث حكم على هذا الحديث بالوضع، وهو في أحد الصحيحين » . انتهى

(٨) الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي في مورد الصادي بمولد الهادي :

حبا الله النبي مزيد فضل   على فضل وكان به رؤوفا
فأحيا أمــه وكــذا أبـاه   لإيمــان بــه فضلا لطيفــا
فسلم فالقديم بذا قدير   وإن كان الحديث به ضعيفا

(٩) **الشيخ حسن بن عمر الشطي، مفتي الحنابلة بدمشق، كما في** حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (١/ ٢٢٤) :

(١٠)

أيا من حاز فضلاً فز بوصل   ففيه الخير محفوفاً بشمل
وألق السمع ميموناً بقول   حبا الله النبي مزيد فضل
على فضل وكان به رؤوفا
فـدع أبويـه من قول أباه   أولو فضل علا تغنم حباه
فكم خير جنى حقـاً لباه   فأحـيا أمـه وكـذا أبـــاه
لإيمان به فضلاً منيفا

وإن تعجب فلا عجب كبير فقدر المصطفى قدماً جدير
وإيـاك الْجمود فـذا خطير فسلم فالقديم بـذا قديـــر
وإن كان الحديث به ضعيفا

وقال آخر:

أيقنت أن أبـــا النبي وأمَّـــــه أحياهمـا الــربُّ القديـــرُ البــاري
حتى لـــــه شهدا بصدق رسالةٍ صــدّق فتـــلك كـــرامة المخـــتار
هذا الحديث ومـن يقول بضعفه فهو الضعيف عـن الحقيقة عـاري

(١٠) **قال العلامة ناصر الـدين بـن المنيِّـر المـالكي** في كتـاب المقتفى في شرف المصطفى :

« قد وقع لنبينا ﷺ إحياء الموتى نظير ما وقع لعيسى ابن مريم إلى أن قال : وجاء في حديث أن النبي ﷺ لما منع من الاستغفار للكفار دعا الله أن يحيي له أبويه فأحياهما له فآمنا به وصدقا وماتا مؤمنين ، وقال القرطبي : فضائل النبي ﷺ لَم تزل وتتتابع إلى حين مماته » .

(١١) **وأخرج ابن عساكر** في تاريخ دمشق (٤٥/ ٢٢٢) من طريق يحيى بن عبد الملك بن أبي غنية قال : حدثنا نوفل بن الفرات وكان عاملاً لعمر بن عبد العزيز قال : كان رجل من كتاب الشام مأموناً عندهم استعمل رجلاً على كورة الشام وكان أبوه يزن بالمنانية فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فقال : ما حملك على أن تستعمل رجلاً على كورة من كور المسلمين كان أبوه يزن بالمنانية ؟ قال : أصلح الله أمير المؤمنين وما عليّ كان أبو النبي ﷺ مشركاً فقال عمر: آه ، ثم سكت ثم رفع رأسه فقال : أأقطع لسانه ؟ أأقطع يده ورجله ؟ أأضرب عنقه ؟ ثم قال : لا تلي لي شيئاً ما بقيت .

الشاهد: أن عمر رضي الله عنه أراد أن يعزر المتكلم الذي قال: (كان أبو النبي مشركا) لكنه اكتفى بعزله، وطرده من دواوين الدولة، وذلك لسوء أدبه بحق والد النبي ﷺ .

****

(١٢) الإمام النووي ، **كما نقله السيوطي في التعظيم والمنة، وفي ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (١٩/ ١٩٦):**

قال: إنه (أي نجاة الوالدين) المذهب الصحيح المختار الذي صار إليه المحققون لقوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ الإسراء ، وإذا كان لا يعذب البالغ لكونه لم تبلغه الدعوة فغيره أولى .

(١٣) **قال المشيشي الطرابلسي** في اللؤلؤ المرصوع (ص: ٣٣):

حديث إحياء أبوي النبي ﷺ موضوع كما قال ابن دحية ، وقوّاه علي قاري ، والحق : أنه ضعيف ، كما قال ابن شاهين ، وابن عساكر .

(١٤) قال الشيخ يوسف النبهاني في النظم البديع في مولد الشفيع (ص:١٠):

أليس إيمانهما بلازم   ومنهما قد جاء هديُ العالَم
كيف يكون رحمة العوالِم   لوالديه وهو غير راحم
فاقطع لسان قائل بالضد

روى لساني ودرى جناني   أنهما فـي الخلـد خالدان
قد حيـيا بقـدرة الرحمـــن   وآمـــنا بابـنهما العدنـــان
فخـر معـدّ وبنـي معـدٍّ
يا حسرتا قد قضيا في يتمه   والده قـد مات قبل أمـه
واغتمّ أملاك السماء لغمه   وابتهلوا لربهم في حكمه
قال دعوا لي صفوتي وعبدي

(١٥) ملاّ علي القاري في شرح الشفا (١/ ٦٠٥) :

وأما اسلام أبويه ﷺ ففيه أقوال، والأصح اسـلامهما علـى مـا انقق عليه الأجلة من الأمة كما بينه السيوطي في رسائله الـثلاث المؤلفة .

(١٦) الفخر الرازي في مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٣/ ٣٢) :

الحجة الأولى: أن آباء الأنبياء ما كانوا كفارا، ويدل عليه وجـوه: منها قوله تعـالى: ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ الشعراء ، قيل معناه: إنه كان ينقل روحه مـن سـاجد إلى سـاجد

وبهذا التقدير: فالآية دالة على أن جميع آباء محمد عليه السلام كانوا مسلمين. وحينئذ يجب القطع بأن والد إبراهيم عليه السلام كان مسلما.

(١٧) شرح بلوغ المرام للشيخ عطية محمد سالم (١٥٣/ ١١) :□
اصطفاه وهو في أصلاب آبائه، وآباء آبائه إلى آدم، واختاره نبياً قبل أن توجد الدنيا، وكل شيء قد سجل في اللوح المحفوظ، والرسل مصطفون عند الله من قبل أن يوجدوا، فهذه رعاية من الله لنبيه ﷺ فقد رعاه الله سبحانه وتعالى في أصلاب آبائه، وصانه من دنس الجاهلية، كما قال ﷺ : (ولدت من نكاح لا من سفاح) .

(١٨) أحمد بن محمد مكي شهير بابن نجيم في غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر (٣/ ٢٤٠) :□
إن الله - تعالى - أحياهما له فآمنا به خصوصية لهما، ومحل كون الإيمان لا ينفع بعد الموت في غير الخصوصية، وقد صح أنه ﷺ رُدت عليه الشمس بعد مغيبها، فعاد الوقت حتى صلى العصر

أداءً كرامة له ﷺ واعلم أن السلف اختلفوا في أبوي الرسول ﷺ هل ماتا على الكفر أم لا ، فذهب إلى الأول جمع منهم صاحب التيسير، وذهب إلى الثاني جماعة منهم، متمسكين بأحاديث دالة على طهارة نسبه الشريف ﷺ من دنس الشرك وشين الكفر، ونفر من الجميع الأول قالوا بنجاتهما من النار منهم الإمام القرطبي فإنه قال: إن الله - تعالى - أحياهما له ﷺ وآمنا به ، فإن قلت: أليس الحديث الذي ورد في إحيائهما موضوعاً؟ قلت: زَعَمَهُ بعضُ الناس، إلا أن الصواب أنه ضعيف لا موضوع .

(١٩) فتوى دائرة الإفتاء المصرية:

رقم الفتوى: (٢٦٢٣) ، تاريخ: (١٩) أيلول (٢٠٠٧)

نص الفتوى: إن الحكم في أبوي النبي ﷺ أنهما ناجيان وليسا من أهل النار، وقد صرح بذلك جمع من العلماء ، وصنف العلماء المصنَّفات في بيان ذلك، منها رسالتا الإمام السيوطي " مسالك الحنفا في نجاة والدي المصطفى " و " التعظيم والمنّة بأنّ

والدي المصطفى في الجنة" والطريق الذي سلكه القائلون بنجاة أبوي النبي ﷺ لأنهما لم يثبت عنهما شرك، بل كانا على الحنيفية دين جدهما إبراهيم عليه السلام، ولقد ذهب إلى هذا القول جمعٌ من العلماء منهم الفخر الرازي في كتابه: (أسرار التنزيل) ، واستدل أهل هذا الطريق بقوله تعالى : « الذي يراك حين تقوم * وتقلبك في الساجدين » أي أنه ﷺ كان يتقلب في أصلاب الساجدين المؤمنين، مما يدل على أن آباءه لم يكونوا مشركين .

قال الرازي: « قال ﷺ : لم أزل أُنقل من أصلاب الطاهرين، إلى أرحام الطاهرات، وقال تعالى: إنما المشركون نجس، فوجب ألا يكون أحدٌ من أجداده مشركا» .

والطريق الثالث الذي سلكه القائلون بنجاتهما: أن الله أحياهما له ﷺ حتى آمنا به، وهذا المسلك مال إليه طائفة من حفاظ المحدّثين وغيرهم، منهم: الخطيب البغدادي، وابن شاهين، وابن المنيّر، والمحب الطبري، والقرطبي، واحتجوالمسلكهم بأحاديث ضعيفة، لكنها ترقى إلى الحسن بمجموع طرقها . انتهى مختصراً .

(٢٠) الدكتور محمد سليمان فرج، في قصيدته العصماء التي سماها: الوفا لوالدي المصطفى:

والله بالفضل إتماماً لنعمته   لأجل رحمته المهداة من أزل
أحياك ربك والعصماءً آمنةً   رفعاً لقدركما في أشرف النزل
لتنعما بسنا الإيمان منزلةً   عظمى ودينكما التوحيدُ فابتهِل

(٢١) قال شارحها المستشار:أحمد السايح الحسيني:

« فأتم الله نعمته من أجله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، بأن أحياهما جل وعلا حتى آمنا به ﷺ .

ثم ساق روايات حديث إحياء الوالدين عند ابن شاهين، والدارقطني، وابن عساكر، والخطيب، وابن سيد الناس...الخ (انظر ص: ٧٦) من الوفا لوالدي المصطفى .

الفصل الثالث

النهي عن إيذاء النبي ﷺ

فإنّ تعظيم النبي ﷺ مطلب شرعي، أمر به القرآن الكريم، وجعل تعظيمه وتوقيره ومؤازرته علة إرساله، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ۚ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩ ﴾ الفتح، فنصت الآية الكريمة على أن علة إرساله ﷺ :

أولاً: الإيمان بالله تعالى، وأنه متصف بصفات الكمال المطلق، وهذا يقتضي أن نفرده بالعبادة والمحبة، فإن من مقتضيات الألوهية إفراده بالعبادة ممن يعرفه، ومن مقتضيات الكمال المحبة، فإن الفطرة تميل لمحبة الكامل ، وهذا مقصد معرفة الله تعالى .

ثانياً: الإيمان برسول الله ﷺ ، وأن الله تعالى أكرمه بكرامات لم تكن لغيره من البشر، ومن ذلك أن جعله نوراً، وأنه كان يتقلب في أصلاب الساجدين وأرحام الساجدات، وهذا يعني أن الله

تعالى أفرغ عليه من الكمالات التي توجب علينا معرفة منزلته الرفيعة، فنتعامل معه بناء على ما أولاه الله من التعظيم .

ثالثاً: وتعزّروه ، أي تنصروه حتى يبلغ دعوة الله لتعم البشرية كلها، فإذا انتقل إلى الدار الآخرة قام نوّاب الرسل بتبليغ شرعه وهديه نيابة عنه كما أمر ، فيكون النائب صورة مشرقة لهذا الدين كما كان هو ﷺ .

رابعاً : وتوقروه ، أي تعظموه ، وكيفية تعظيمه هو كما أمرنا الله تعالى به فمن تعظيمه:

١ـ أن لا نناديه كما ينادي أحدُنا أخاه، بل نناديه بالرسالة والنبوة مضافة إلى الله تعالى، فلا نناديه باسمه مجرداً ، ولا بكنيته أيضاً، بل بقولنا: يا رسول الله ، يا نبي الله، وهذا مما امتازت به هذه الأمة عن غيرها من الأمم، حيث وجّهنا الله تعالى لمزيد من أدب الخطاب، والتعظيم لمن جعله الله معظماً عنده ، فالذي يقرأ القرآن يجد أن الله تعالى خاطب رسله وهم الأصفياء من البشر بأسمائهم مجردة، فقال: يا يا آدم، يا نوح، إبراهيم، يا موسى، يا عيسى....الخ لكنه خاطب رسوله محمداً بغير ذلك فقال: يا أيها الرسول...يا أيها النبي...يا أيها المزمل...وهو توجيه رباني لهذه

للأمة بأن هذا النبي مميز عن غيره من صفوة البشر فلا يليق به إلا ما يُشعر بتوقيره وتعظيم جنابه ، ومن خالف هذا الهدي وسمه الله بعدم العقل قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ الحجرات .

٢ـ أن لا نؤذيه بأي شكل من أشكال الإيذاء، ومن الإيذاء قذف أصوله وفروعه وأزواجه، بما لا يليق بمقامهم السامي، فقد وقع قذف بعض أزواجه ﷺ في حياته فسماهم الله تعالى : (فاسقون) وأمر القرآن بإقامة الحد على من ثبت القذف عليه، والقذف بالكفر والشرك أعظم من القذف بكبيرة ، فالذي يصف أحداً من أصوله أو أزواجه بشرك أوكفر فقد أعظم الفرية عليه، زيادة على إيذائه ﷺ وقد نهى الله تعالى عن إيذاء النبي ﷺ بأي شكل من أشكال الإيذاء ، وتوعد على ذلك باللعن والطرد من رحمته تعالى، والعذاب الأليم، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ التوبة .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ۝٥٧ ﴾ الأحزاب .

فمن رمى جد النبي ﷺ أو والديه بكفر أو شرك فقد آذاه ﷺ ، وبالتالي استحق اللعن والطرد والعذاب، ومما يدل على أنه إيذاء له ﷺ :

* ما جاء في الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٨/ ٦٦٨) : أخرج ابن مردويه عن ابن عمر، وأبي هريرة ، وعمار بن ياسر رضي الله عنهم قالوا: « قدمت درة بنت أبي لهب مهاجرةً فقال لها نسوة: أنت درة بنت أبي لهب الذي يقول الله: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ ﴾ ، فذكرت لك للنبي ﷺ فخطب فقال: يا أيها الناس مالي أوذى في أهلي ؟ فوالله إن شفاعتي لتنال بقرابتي ، حتى إن حكماً وحاء وصدا وسلهبا تنالها يوم القيامة بقرابتي » .

* وفي المعجم الكبير للطبراني ط مكتبة العلوم والحكم (٢٤/ ٢٥٧):□

« كانت درة بنت أبي لهب عن الحارث بن عبد الله بن نوفل، فولدت له عقبة والوليد وأبا مسلم، ثم أتت النبي ﷺ بالمدينة فأكثر الناس في أبويها، فجاءت رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، ما ولد الكفارُ غيري؟ فقال لها النبي ﷺ: وما ذاك؟ قالت : قد آذاني أهل المدينة في أبويّ فقال لها رسول الله ﷺ : إذا صليتُ الظهر فصل حيث أرى ، فصلى النبي ﷺ الظهر ، ثم التفت إليها ، فأقبل على الناس بوجهه فقال : أيها الناس، ألكم نسبٌ وليس لي نسب ؟ فوثب عمر فقال : غَضِبَ اللهُ على مَن أغضبك، فقال : هذه بنت عمي، فلا يقل لها أحدٌ إلا خيرا » .

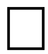
* وفيه أيضاً (٢٤/ ٢٥٩): عن أبي هريرة وعن عمار بن ياسر قالوا : □

« قالوا قدمت درة بنت أبي لهب المدينة مهاجرةً ، فنزلت دار رافع بن المعلّى الزرقي، فقال لها نسوة جالسين إليها من بني زريق : أنت بنت أبي لهب الذي يقول الله عز و جل: ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ

أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾﴾ ما يغني عنك مهاجرك ، فأتت درة النبي ﷺ فشكت إليه ما قلن لها فسكّنها وقال : اجلسي ثم صلى بالناس الظهر، وجلس على المنبر ساعة ثم قال : أيها الناس مالي أوذى في أهلي، فوالله إن شفاعتي لتنال حيَّ حا، وحكم، وصداء ، وسلهب يوم القيامة» .



وفي الكبير للطبراني أيضاً (١٥٤٠١) [باب مناقب أم هانئ رضي الله عنها] عن عبد الرحمن بن أبي رافعٍ أن أم هانئ بنت أبي طالب خرجت متبرجةً قد بدا قرطاها، فقال لها عمر بن الخطاب: «اعملي، فإن محمداً لا يغني عنك شيئا، فجاءت إلى النبي ﷺ فأخبرته به، فقال رسول الله ﷺ: ما بال أقوام يزعمون أن شفاعتي لا تنال أهل بيتي! وإن شفاعتي تنال حاء وحكم » .

وحاء وحكم قبيلتان . والحديث مرسل، ورجاله ثقات . 

الشاهد : إن أبا لهب وزوجته ماتا على الكفر، ونزل القرآن مخبراً بأنهما مخلدان في النار، ومع ذلك فإن الكلام على كفرهما بعد موتهما آذى الحي من أبنائهما، فنهى النبي ﷺ عن ذلك، واعتبره

إيذاءً للحي، وقد نهى الله تعالى عن إيذاء الأحياء قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾ الأحزاب

وجاء في سنن الترمذي ت بشار (٣/ ٤٢١) عن المغيرة بن شعبة قال رسول الله ﷺ: « لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء ».

هذا في حق عوام المؤمنين، فكيف بمن سب أصول النبي ﷺ ووصفهم بالكفر ؟! فهذا فيه وعيد شديد قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ التوبة .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ ﴾ الأحزاب .





لزوم الأدب معه ﷺ مقصد شرعي

ومن مقاصد إرساله ﷺ لـزوم الأدب معـه، وهـذا مـا أمرنـا بـه القرآن الكريم مـن خـلال هـذه الآيـة الكريمـة، ، وجـاء الهـدي النبوي بذلك، فقد علّمنا ﷺ كيفية الأدب مع النـاس، واحـترام مشـاعرهم، فقـد روى الحـاكم في المسـتدرك (٣/ ٢٦٩) عـن عبدالله بن الزبير قال: لما كان يوم فتح مكة هرب عكرمة بن أبي جهل، وكانت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام امرأة عاقلة أسلمت، ثم سألت رسول الله ﷺ الأمان لزوجها فأمرهـا بـرده، فخرجت في طلبه وقالت له: جئتك من عند أوصل الناس، وأبـر الناس، وخير الناس، وقد استأمنتُ لـك فأمنـك، فرجـع معهـا، فلما دنا من مكة، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «يأتيكم عكرمـة بن أبي جهل مؤمناً مهاجرا، فـلا تسـبوا أبـاه، فـإن سـب الميـت يؤذي الحي، ولا يبلغ الميـت» ، فلمـا بلـغ بـاب رسـول الله ﷺ استبشر ووثب له رسول الله ﷺ قائماً على رجليه فرحاً بقدومـه .

وفي مسند أحمد (٣:٣٧١) لما توفي عبد الله بن أبي بن سلول أتى ابنه النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنك إن لم تأته لم نزل نعير بهذا ، فأتاه النبي ﷺ فوجده قد أدخل في حفرته ، فقال : أفلا قبل أن تدخلوه ، فأخرج من حفرته فتفل عليه من قرنه إلى قدمه ، وألبسه قميصه .

والذي قرأ السيرة يجد عداوة أبي جهل للنبي ﷺ ودعوته، حتى سماه النبي فرعون هذه الأمة، وكناه أبا جهل، وكذلك زعيم المنافقين في المدينة، لم يترك سبيلاً فيه إيذاءٌ للنبي ﷺ إلا سلكه، وأنزلت فيهما آيات كثيرة أخبرت أنهما من أهل النار، ومع ذلك راعى النبي ﷺ مشاعر أبنائهما، فنهى الصحابة عن ذكرهما بسوء، وزيادة على ذلك رأينا ما فعل بزعيم المنافقين، حيث تفل عليه من قرنه إلى أخمص قدميه، وألبسه قميصه وصلى عليه .

وبعد هذا؛ أنراعي الأدب والمشاعر مع هذين الصحابيين المقطوع بكفر أبويهما، ثم يُتجاوز الأدب مع رسول الله ﷺ

بخصوص والديه الكريمين؟ وليس ثمة دليل يقيني على كفرهما، وأقل ما يُقال فيهما أنهما من أهل الفترة .

وزيادة على ذلك جاءتنا عشرات الأحاديث الناهية عن سب الأموات، لأنهم أفضوا إلى ما قدموا، والله تعالى أولى بعباده .

أدب الصحابة مع النبي ﷺ وآل بيته :

إن مراعاة الأدب مع النبي ﷺ وتعظيمه كان منهج الصحابة رضوان الله عليهم جميعا، وتجاوز هذا الأدب إلى أن محبوباتهم صارت تبعاً لمحبته ﷺ ، وذلك من كمال الإيمان، روى ابن أبي عاصم (١/ ١٢) في كتاب السنة عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ : «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به» ، ولا شك في أن هوى النبي ﷺ نجاة والديه وأقاربه، فلن يكمل إيمان أحدنا حتى يكون هوانا تبعاً لما جاء به رسول الله ﷺ ، والصحابة ترجموا لنا هذا المنهج :

****

أدب أبي بكر رضي الله عنه :

جاء في تاريخ دمشق لابن عساكر (٨/ ٢٦٦، ٢٦٣) ترجمة إسحاق بن عيسى بن علي عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا جلس جلس أبو بكر عن يمينه ، فأبصر أبو بكر العباس بن عبد المطلب يوماً مقبلاً ، فتنحى له عن مكانه ، ولم يره النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما نحاك يا أبا بكر؟ فقال: هذا عمك يا رسول الله ، قال: فسُرَّ بذلك النبي صلى الله عليه وسلم .

أدب عمر بن الخطاب رضي الله عنه

ثبت أن عمر رضي الله عنه كان يستسقي بالعباس ويقول: إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرى للعباس مقام الوالد، فاستسقوا به .

أدب عثمان بن عفان رضي الله عنه

وفي تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٦/ ٣٥٤) أيضاً أن العباس بن عبد المطلب لم يمر قط بعمر بن الخطاب، ولا بعثمان بن

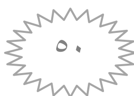
عفان، وهما راكبان إلا نزلا حتى يجوز العباس بهما، إجلالاً لـه أن يمر بهما عمٌّ رسول الله ﷺ وهما راكبان وهو يمشي .

وفي تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٦/ ٣٧٢) عـن القاسـم بـن محمد قال: كان مما أحدث عثمان فرُضي منه ، أنه ضرب رجـلاً في منازعة استخف بها بالعباس بن عبد المطلب، فقيل لـه فقـال: أيفَخِّمُ رسولُ الله ﷺ عمَّه وأُرخِّصُ في الاسـتخفاف بـه؟! لقـد خالف رسولَ الله ﷺ من رضي فعل ذلك فرضي به .

فهـذا سـيدنا عثمـان بـن عفـان رضـي الله عنـه لم يـرض أن يُسْتَخَفَّ بسيدنا العباس رضي الله عنه ، وعاقب المسـتخف بـه ، وأن ذلك مما اجتهد فيه عثمان فارتضى أصحاب النبي ﷺ ذلك

ولكن النواصب لم يرضهم ذلك فزعمـوا أن محبتنـا للـنبي ﷺ مزيفة لأنا لم نر كفـر الأبـوين الكـريمين، فكتـب بعضـهم مقـالاً بعنوان:

محبة النبي ﷺ بين زيف الإدعاء وحقيقة الاقتداء .



فقال: إنه ورد في صحيح مسلم أن أباه في النار، ونحن نقتدي بالنبي ﷺ في ذلك، ولا نحتكم للعواطف .

لكنه لجهله أو لبغضه لجناب النبوة أنه لم يراع الاقتداء في نهي النبي ﷺ عن سب الأموات ولو كانوا كفاراً، حفاظاً على مشاعر الأحياء ، كما رأينا من النهي عن سب أبي لهب، وأبي جهل، وعبد الله بن أبي زعيم المنافقين ، مع أنه جاء صريحاً عنه ﷺ أنه أثبت الخيرية لأبيه على غيره من الآباء ، جاء في دلائل النبوة للبيهقى (١/ ١٧٤) عن أنس قال: خطب رسول الله ﷺ فقال:

« أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، بن هاشم، بن عبد مناف، ابن قصى، بن كلاب، بن مرة ، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر، ابن مالك، بن النضر، بن كنانة ، بن خزيمة ، بن مدركة ، بن إلياس، بن مضر، بن نزار، وما افترق الناس فرقتين إلا جعلني الله في خيرهما، فأخرجت من بين أبوين، فلم يصبني شيء من عهر الجاهلية ، وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح، من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي، فأنا خيركم نفساً، وخيركم أباً .

فالكف عن تكفيرهما من باب أولى لكونهما:

والدي رسول الله ﷺ .

وحرمة إيذائه ﷺ بنص القرآن الكريم، وتكفيرهما إيذاء له ﷺ .

لم يثبت بطريق قطعي أنهما مشركان ، بل الثابت عنهما عكس ذلك .

ثبت الدليل القطعي من القرآن أن أهل الفترة ناجون، وهما من أهل الفترة .

الفصل الرابع: شبهات وردُّها

تمسك بعض من عارض هذا الأثر بأقوال بالية، وأدلة واهية، لا تدل على ما ذهبوا إليه بشيء، حمل بعضهم التسرع بالحكم على الحديث بالوضع، فوقع بسوء الأدب مع الحضرة الشريفة، وبعضهم وقف مع ظاهر الدليل ولَم يبحث فيه ويسبر غوره حتى ينتج حكماً يُعتمد عليه، وبالتالي جانب كل منهما الصواب في الحكم، وإن استشهدوا بقول البيهقي والرملي وابن كثير والذهبي، فهؤلاء علماء لهم اجتهادهم وفهمهم، ولغيرهم من العلماء اجتهادهم وعلمهم وفهمهم، وليس قول هؤلاء حجة على غيرهم من العلماء الذين قالوا بخلاف قولهم، وهم أكثر منهم عددا، وربما أوسع منهم علما، وإنما الحجة لصاحب الشرع، والقرآن غالب وليس مغلوب، وإليك الأدلة التي استدلوا بها:

الشبهة الأولى:

ما جاء في صحيح مسلم (٢٣٠٤) عن أبي هريرة قال: زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال: «استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكر الموت .

قالوا: عدم الإذن بالاستغفار دليل الكفر .

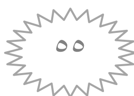
الجواب:

أولاً: لَمّا أذن الله تعالى لنبيه ﷺ بزيارة قبرها علمنا أنها ليست مشركة، بدليل نهي الله تعالى نبيه ﷺ عن القيام على قبور المشركين، قال تعالى في سورة التوبة: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ ، وحاشا رسول الله ﷺ أن يخالف قول ربه تعالى، فلو كانت السيدة الوالدة كافرة لم يأذن له تعالى بزيارتها، إذ كيف ينهى الله تعالى عن شيء ثم يأذن فيه !! وإنما شرع الله تعالى

زيارة قبور المؤمنين، وجاء ذلك على لسان رسول الله ﷺ وقد صح عنه ﷺ أنه كان يزور شهداء أحد، والبقيع، ويستغفر لهم ، ولما أذن الله تعالى لنبيه بزيارة قبر والدته علمنا أنها ملحقة بهم وإن لم تدرك الإسلام، لكونها من أهل الفترة، ولكونها مشمولة بالآية الشريفة: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩﴾ حيث شرفها الله تعالى بحمل سيد الدنيا والآخرة .

الأمر الثاني: لم يثبت بأي طريق وصلنا من كتب السيرة والتاريخ أن الوالدين الكريمين كانا مشركين، فعبد الله توفي وسنه لم يتجاوز الثامنة عشرة، ولم ترو لنا المصادر العلمية أنه سجد لصنم، بل التراجم نصت على عكس ذلك، فقد أوردت أنه كان موحداً، وكذلك السيدة آمنة كانت على ملة أبينا إبراهيم، وعلمنا من وصيتها لابنها ﷺ وهو في سن السادسة نهيها له عن عبادة الأصنام ، وجاء ذلك متجلياً في وصيتها لابنها وهو لم يتجاوز السادسة من عمره:

فأنت مبعوث إلى الأنام
من عند ذي الجلال والإكرام



ُتـبعث فـي الْحل وفـي الحرام
تُـبعث بالتحقيـق والإســـلام
ديــن أبـيك البـــَرِّ إبراهـــــام
فالله أنهـــاك عـــن الأصـــنام
أن لا توالـــيها مـع الأقـــوام

الأمر الثالث: إن القائلين بكفر الوالدين لم يوردوا الدليل على كفرهما، بل إن ما أوردوه من الأدلة إنما هي أدلة ظنية مرجوحة مؤولة، والدليل إذا داخله الاحتمال سقط به الاستدلال .

الأمر الرابع: أما عدم الإذن بالاستغفار، فلأن الاستغفار للعبد هو نوع من المؤاخذة على الذنب، والذنب لا يكون إلا بعد التكليف، وكيف يصح لهما ذنب ولَم يكلفا بشرع؟ ، والاستغفار في هذا المقام هو نوع من العبث، وهذا ما ننزه عنه رسول الله ﷺ .

قالوا: إن أهل الجزيرة كانوا مكلفين بشريعة عيسى ﷺ وبالتالي ليسوا من أهل الفترة .

الجواب: إن هذا القول صادر عمن لم يمعن النظر في القرآن الكريم ، فالعرب لم يأتهم رسول بعد سيدنا إسماعيل ﷺ ، وسيدنا عيسى بعث لبني إسرائيل ولم يُبعث إلى العرب ، بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ ﴿٦﴾﴾ الصف ، وبنو إسرائيل غير بني إسماعيل .

وأما من قال بأن العرب ليسوا من أهل الفترة فقد جانب الصواب، وخالف الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والدليل على ذلك:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ المائدة ، فالمقصود بالنبي هو رسول الله محمد ﷺ ومعلوم أنه مرسل إلى الناس كافة، والآية نصت على أنه جاء على فترة من الرسل .

وقولــه تعــالى: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ القصص .

وقولـــه تعـــالى: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ﴾ السجدة .

وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ سبأ .

وقوله تعالى: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ ﴾ يس .

فهذه كلها آيات صريحة بأن العرب لم يأتهم رسـول بعـد أبينـا إسماعيل ﷺ حتى بعثة سيدنا محمد ﷺ ، والقـرآن مقـدَّم علـى غيره .

الشبهة الثانية :

قال ابـن الجـوزي في الموضـوعات (١/ ٢٨٤): هـذا حـديث موضوع بلا شك، والذى وضعه قليل الفهم، عديم العلم، إذ لو كان له علم لعلـم أن مـن مـات كـافراً لا ينفعـه أن يـؤمن بعـد الرجعة، لا بل لو آمن عند المعاينة لَم ينتفـع، ويكفـى في رد هـذا الحديث قوله تعالى: (فيمت وهو كافر) .

الجواب: لو سألنا ابن الجوزي: ما هو دليلك على كفر الوالـدين فما هو جوابه؟؟

أقول: إنه لا دليل على كفر الوالدين، وموتهما زمن الجاهليـة لا يضرهما شيئا، وليس فيه دليل على الكفر ، إذ ليس كل من مات قبل الإسـلام كـافرا ، فهـذا ورقـة بـن نوفـل مـات قبـل الجهـر بالدعوة، وزيد بن عمرو بن نفيل كذلك، وعبد المطلب جد النبي ﷺ كذلك، وهؤلاء وغيرهم ممن لا يحصى والـتي روت المصـادر العلمية أنهم كانوا حنفاء ، كانوا علـى ديـن إبـراهيم، ولم يثبـت عـنهم أنهـم سـجدوا لصـنم، أو عـاقروا خمـرا، أو ذبحـوا علـى النصب، فهل يصح أن نسمهم بالكفر والشرك، والخلود في النار، بعد علمنا أنهم نبذوا الأوثان ولم يدينوا لها ؟؟

الأمر الثاني: إن قول ابن الجوزي هذا مخالف لمـا جـاء في القـرآن من عدم تعـذيب أهـل الفـترة: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ الإسراء ، ولو كانوا كفارا، لأنه من عـدل الله تعـالى أنـه لا يؤاخذ عباده إلا بعد الإعذار ، فقوله غير مستند لدليل ،

الأمر الثالث: إن حكم ابن الجوزي على هـذا الحـديث بالوضـع هو تسرع منه، وهو حكم على الحـديث بـالمزاج ولـيس حسـب

قواعد المحدثين، والعلماء مجمعون على ضعف الحديث لا على وضعه، وقد رأينا من هذه الدراسة حال جميع الرواة، فلم نجد فيهم وضاعاً ولا كذاباً، فأصبح قوله وحكمه على الحديث شاذاً لا يؤخذ به .

الشبهة الثالثة:

ما جاء في معجم ابن الأعرابي (٧٣٦) عن محمد بن كعب القرظي ، قال رسول الله ﷺ : يا ليت شعري ما فعل أبواي ؟ فأنزل الله عز وجل : يا محمد إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ، ولا تسأل عن أصحاب الجحيم ، قال : فما ذكرهما ، حتى مات ﷺ .

الجواب: إن هذا الحديث ضعيف لا تقوم به حجة، وضعفه من جهتين:

الأولى: أنه مرسل، والثانية: ضعف السند .

أما الأولى: فمحمد بن كعب تابعي، فأصبحت روايته مرسلة، والمرسل لا تقوم به حجة .

وأما الثانية: فالرواية ضعيفة لضعف موسى بن عبيدة بن نشـيط، فهو ضعيف جدا، ترجمته في التهذيب، والكـبير للبخـاري (٤:١، ٢٩١) والصغير (١٧٢ ت ١٧٣) وابن أبي حاتم (٤:١ ، ١٥١) قال البخاري: منكر الحديث، وقال علي المديني عن القطان: كنـا نتقيه تلك الأيام، وروى أبو حاتم عن الجوزجاني قـال: سمعـت أحمد بن حنبل يقول: لا تحل الرواية عندي عن موسى بن عبيـدة ، قلنا: يا أبا عبد الله، لا تحل؟ قال: عنـدي، قلـت: فـإن سـفيان وشعبة قد رويا عنه، قال: لو بان لشعبة ما بان لغيره ما روى عنه قال ابن معين: لا يحتج بحديثه ، وقال أبو حاتم: منكر الحديث .

هذا آخر ما سطره البنان من هذه الرسالة، بعون الله تعالى وفضله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .